حق الرب على العبيد

إعداد

توفيق محمد مصيري

عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد،لا يشبهه أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.. حمداً لا يحصره عدد، ولا يحصيه أمد، ولا يقطعه أبد. والصلاة والسلام على رسوله الأمين، إمام الموحدين، الذي جاء بالرحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، نصروا الملة والدين، ومحوا كل شرك بسلطان مبين، صلاة وسلاماً من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد..

إن للتوحيد مكانة عظيمة، ومنزلة مرموقة سامية في دين الله ﷻ؛ فمن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦]، وهو حق الله على العبيد الذي لا ينبغي أن يقصروا في أدائه على أكمل وجه،

كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

والتوحيد هو رأس العدل المنافي للشرك الذي يُعدّ أظلم الظلم، قال تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يلقّن ابنه ويغرس في قلبه قبح وكره الشرك المنافي للتوحيد: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣].

وإذا أردت أخي أن تُقبل أعمالك الصالحة فما عليك إلا بالتوحيد، فإنه لا يُقبل عمل المشرك والعياذ بالله كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٥].

وغيرها الكثير والكثير من فضائل ومميزات التوحيد المذكورة في كتاب الله العزيز والمروية في صحيح سنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

فحريٌّ بالعاقل أن يسعى نحو تحقيقه في كل أعماله، وفي جميع عباداته، حتى يؤدي حق الله، فيرضى عنه الله، ومن ﷺ فماذا يريد بعد ذلك، فقد حاز على الفوز العظيم: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وفي هذه الرسالة بيان لعظم مقام التوحيد، وكيف أن الأخيار سارعوا إلى تطبيقه، وأكثروا من التحذير من كل ما يخدشه، وتبيان لقبح الشرك وعظم وزره. فإنها رسالة من القلب خالصة تخاطب من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد..

قصة التوحيد..

لقد خلق الله خلقه ليعبدوه وحده دون سواه، ويفردوه بالعبادة دون غيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، فقد كان مبدأ التوحيد سنة في الأرض سارية يدين بها كل الخلق لخالقهم، ويتقرب بها العباد لمعبودهم الواحد الأحد جل في علاه، حتى كان أول الشرك من قوم نبي الله نوح عليه السلام ، حين صنعوا تماثيل وأصناماً لأناس كانوا من الصالحين من أبناء قومهم، إلى أن استفزهم الشيطان وأضلتهم أهواؤهم بغير علم ولا هدى من الله، ووقعوا في المحظور وهو الشرك بالله سبحانه الله وتعالى، فعبدوها من دون الله وطلبوا الضر والنفع منها، فأرسل الله رسولاً يعظهم ويحذرهم ويذكرهم بعظم جرمهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأعراف:٥٩]

ثم توالت الرسل عليهم السلام تترى على كل قوم أشركوا مع الله أحداً غيره، كل رسول جاء يحمل دعوة واحدة، وأرسلوا تحت عنوان واحد ولهدف واحد؛ ألا وهو الدعوة إلى توحيد الواحد الأحد جل في علاه، فهذا نبي الله صالح عليه السلام يدعو إلى التوحيد: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [الأعراف:٧٣]، وهذا نبي الله هود عليه السلام يسير على نفس الطريق: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف:٦٥]، وكذلك نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [الأعراف:٨٥]..وهكذا كل نبي جاء ليرسي دعائم التوحيد، وينشر دعوة العبودية الواحدة لله الواحد عز وجل.

إلى أن بعث الله رسوله الأمين إمام الموحدين في قوم كانوا قد بلغوا في الشرك بالله مبلغاً عظيماً، فدعاهم وأنذرهم وحذرهم ورغبهم فيما عند الله إن هم استجابوا لداعي الله، ونافح عن حمى

التوحيد نفاحاً كبيراً، فحطّم الأصنام، وحكم على كل صنم بالإعدام، ومحا كل معلم من معالم الشرك والطغيان، ومسح من أذهان أصحابه كل علقة من علائق الكفر والإلحاد، وامتثل أمر ربه حين أوحى إليه فقال: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٦].

بل إنه عليه الصلاة والسلام ظل ينهى في أيام حياته عن أي مظهر من مظاهر العبادة لغير الله، وعن كل قول أو فعل قد يؤدي إلى الشرك بالله سواء من قريب أو بعيد؛ بل وزرع عليه الصلاة والسلام في قلوب أصحابه عظم التوحيد وحبه، وكان يدعوهم إليه صغاراً كانوا أو كباراً أغنياء كانوا أو فقراء فالكل متساوٍ تحت مظلة التوحيد، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: (يا معاذ! هل تدري ما حق الله على العباد؟) -يقول ثلاثاً- قال: الله ورسوله أعلم! فقال رسول الله ﷺ: (حق الله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً)،

ثم قال ﷺ: (هل تدري ما حق العباد على الله ﷻ إذا فعلوا ذلك؟) قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: (أن لا يعذبهم). أو قال: (أن لا يدخلهم النار)[1].

ونزع من صدور من آمن به أي فتيل قد يؤدي إلى اشتعال نار الشرك بالله في قلوبهم، فنهى عن السجود لأحد غير الله، وإليك أخي القارئ هذه القصة التي تبين نهي النبي عليه الصلاة والسلام عن السجود لأحد من الخلق كائناً من كان:

عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ[2]، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ وَإِنَّهُ اسْتُصْعِبَ عَلَيْنَا وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ. فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا، فَقَامُوا فَدَخَلَ

(١) التوحيد (ص: ٢٨)، بحار الأنوار: (٣/ ١٠).

(٢) أي: يسقون الزرع عليه.

الْحَائِطَ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَةٍ، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: يَا نَبِيَّ اللهَّ إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ، فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ». فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهَّ هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ وَنَحْنُ نَعْقِلُ! فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، فَقَالَ: «لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ قُرْحَةً تَنْبَجِسُ بِالْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْهُ فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ»(١).

ونهى ﷺ عن مظهر آخر من مظاهر التعظيم التي لا تنبغي إلا لله جل في علاه وهو: الحلف بغير الله، ولا يحلف الإنسان بشيء إلا لأنه يعظمه والعظمة كل العظمة لا تنبغي ولا تكون

(١) سنن الدارمى (١/ ٣٤٢).

إلا للعظيم جل في علاه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير فقد كفر أو أشرك»[1].

وقد روى النوري الطبرسي أن النبي ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك)[2]. وروى أيضاً: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[3].

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام ينهى عن كل ما يؤدي إلى الإشراك مع الله أحداً غيره في أي نوع من أنواع العبادة، فنهى

---

(١) أخرجه الترمذي في النذور والإيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٩)، وقال الترمذي: "حسن صحيح"، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، والألباني في صحيح الترغيب (٢٩٥٢).

(٢) مستدرك الوسائل: (١٦/ ٦٥).

(٣) مستدرك الوسائل: (١٦/ ٥٠).

كذلك عن الذبح لغير الله فقد قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله من ذبح لغير الله».(١)

حتى إنه ﷺ نهى عن كل غلو في ذاته الشريفة ولو كان بالكلام؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».(٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده»(٣).

---

(١) رواه مسلم في الأضاحي (برقم:٣٦٥٧، ٣٦٥٨)، والنسائي في الضحايا برقم (٤٣٤٦).

(٢) رواه البخاري(٣٢٦١).

(٣) أخرجه الطبراني (١٢/ ٢٤٤) (١٣٠٠٥)، وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٧٤) (٧٨٣)، وأبو نعيم (٤/ ٩٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٦).

كل ذلك كان من دافع الخوف على أمته ﷺ من أن يقعوا في الشرك، وتفنّناً في أداء رسالة التوحيد التي بعثه الله من أجلها.

ثم تتابعت الأوامر النبوية، والتوجيهات المحمدية لكل فرد من أفراد الأمة حفاظاً على مبدأ التوحيد، وصيانةً لجوهره النقي ومكنونه الصافي في كثير غير هذه الأحاديث المذكورة.

ومن المداخل الخطيرة لباب الشرك والتي حذّر منها النبي ﷺ: الغلو في حب الأولياء، وبناء الأضرحة على قبورهم، وتجصيصها وجعلها مزارات تصرف لها أنواع العبادات الخاصة بالله تبارك وتعالى وحده، فقال النبي ﷺ: (لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً[1]؛ فإن الله ﷻ لعن اليهود حين اتخذوا قبور

(١) علينا ألا نظن بأن قبر النبي ﷺ كان في مسجده، فهذا أمر بعيد عن الصواب والحقيقة التاريخية، إذ قبره ﷺ موجود في بيت عائشة رضي الله عنها، وهذا مما اتفق عليه رواة التاريخ قاطبة، ولم يخالف فيه أحد منه، ثم لما وقعت التوسعة لمسجد النبي ﷺ في الدولة الأموية تم إدخال بيت عائشة ضمن التوسعة، ولم يجعلوه في القبلة.

أنبيائهم مساجد)[١].

ثم مرّت الأيام وتوالت السنون ومضت الأعوام حتى أصيب النبي ﷺ بالحمى، وقاربت أيامه الجليلة على الانتهاء، وأوشك على الانتقال إلى جوار ربه جل وعلا، فكان من آخر ما قاله فمه الشريف ونطق به لسانه الزكي: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يصلى عليه، وفي رواية: يُعبد»[٢]، قال هذا الكلام وهو يعاني سكرات الموت وآلامه. يا سبحان الله! ألهذا الحدّ التوحيد عظيم وغالٍ عندك يا رسول الله، ألهذه الدرجة - يا حبيب الله - مقام التوحيد عندك عظيم إلى درجة أن تجعله من وصاياك الأخيرة ومن أوامرك الخاتمة؟! كيف لا يكون التوحيد كذلك، ومن أجل

---

(١) من لا يحضره الفقيه: (١/ ١٧٨)، الوسائل : (٣/ ٢٣٥)، (٥/ ١٦١)، بحار الأنوار: (٧٩/ ٢٠).

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد في المسند (٧٣٥٢) موصولاً ومالك في الموطأ(١٧٢) مرسلاً وأخرجه البزار مجمع الزوائد(٢/ ٢٨) موصولاً.

إرساء دعائم التوحيد في الأمة أمضى الرسول ﷺ جلّ عمره، وقضى أنفس سني حياته بأبي هو وأمي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم..

وتتابع أمر المحافظة على إرث النبي ﷺ ، والذود عن الشرع المبارك، فقام من بعده أصحابه رضي الله عنهم بهذه المهمة خير قيام، ومن هؤلاء الصحابة الكرام أهل بيته الأطهار، السادة الأخيار، وفي مقدمتهم الحبر البحر التقي النقي ابن عم الرسول ﷺ ، زوج الزهراء سيدة نساء العالمين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذا قام بهذه الدعوة المباركة سبطا رسول الله ﷺ وريحانتاه من الدنيا وحبيباه، السيدان الجليلان: الحسن والحسين ، وكذا البحر الزخار ترجمان القرآن: عبد الله بن العباس رضي الله عنهما .

وجاء بعدهم خير خلف لخير سلف من أئمة أهل البيت، كالإمام السجاد علي بن الحسين رضي الله عنه ، وولده الذي بقر العلوم وحصَّل الفهوم: محمد بن علي رضي الله عنه ، وأخيه زيد رضي الله عنه الذي كان

قوي الفهم، صافي العلم، والإمام المقدم الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ الذي سارت الركبان بذكر محاسنه، وسيرته ومناقبه، وغيرهم كثير ممن جاء بعدهم، حيث كانوا على خطا جدهم رسول الله ﷺ سائرين، ولسنته متبعين.

ولكن كما قيل: لا يخلو بحر من كدر، ولا ماء من عكر؛ فإن بعض الناس لما رأوا سيرة هؤلاء الأمجاد منتشرة بين الناس كانتشار النور عند انفجار الإصباح، صاروا يكذبون عليهم، وينسبون إليهم من الباطل المحال ما تقشعر منه الأبدان، وتصطك بسببه الآذان، خاصة في جانب أعظم أركان الدين، وما يتعلق بذات الله جل جلاله.

الأئمة يقولون: نحن لله موحدون..

وفي عصر من العصور جاء أناس يدّعون توحيد الله وهم يجيزون دعاء غيره من خلقه، والاستعانة والاستغاثة بغيره، بل ويجيزون السجود للأضرحة، ويرون جواز التوسل لها والذبح لها وصرف أنواعاً شتى من العبادات لها، وهم بذلك يدّعون حب أهل البيت مع أن أهل البيت من أفعالهم هذه براء، فهم أهل توحيد، ولم يكونوا في يوم من الأيام دعاة شرك بالله، بل كانوا يحذرون من الإشراك بالله سبحانه ولو كان يسيراً حقيراً في أعين العوام، وهذا ما كان يخشاه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، مثل ما جاء عنه أنه إذا توضأ لم يدع أحداً يصب عليه الماء، فقيل له: يا أمير المؤمنين! لم لا تدعهم يصبون عليك الماء؟ فقال: لا أحب أن أشرك في صلاتي أحداً[1].

---

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه: (١/ ٤٣).

فإذا كان أمير المؤمنين ﷺ لم يدع أحداً بأن يصب عليه الماء بسبب أنه لا يحب أن يشاركه أحد في صلاته، فكيف نرضى لأنفسنا بأن نشارك الله تبارك وتعالى في خصائصه في العبادات كالدعاء والاستغاثة والخوف والرجاء وغيرها من العبادات ومشاركة من هم أدون منه منزلة من الأولياء والصالحين؟!

ولحرص الأئمة رحمهم الله على التوحيد وإخلاص العمل لله، فقد حذروا من الصلاة في مكان يكون فيه تماثيل أو تصاوير مرسومة، ونهوا عنه في فتاواهم رحمهم الله .

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ : إنا نبسط عندنا الوسائد فيها التماثيل - أي: المرسومة - ونفترشها، فقال: لا بأس بما يُبسط منها ويفترش ويوطأ، إنما يكره منها ما نصب على الحائط والسرير[1].

ولله در الإمام جعفر ﷺ ، من هذه الإجابة التي تخرج من

---

(١) الوسائل : (١٢/ ٢٢٠).

مشكاة النبوة، حين أوضح بالتفصيل أن ما يكون مهاناً من هذه الرسوم فلا بأس باقتنائه، أما ما يكون فيه دلالة على التعظيم، مثل أن يوضع على الجدران؛ فهذا قد بين حرمته وعظيم جرمه.

وعن سعد بن إسماعيل عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا ﷺ عن المصلى والبسائط يكون عليها التماثيل: أيقوم عليه فيصلي أم لا؟ فقال: والله إني لأكره. وعن رجل دخل على رجل عنده بساط عليه تمثال فقال: أتجد ههنا مثالاً؟ فقال: لا تجلس عليه، ولا تصل عليه[1].

وكل ما سبق ذكره من الأقوال والتحذيرات عن النبي صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين في هذا الجانب العظيم لم يكن إلا لسد باب عظيم يدخل منه الشرك إلى المسلمين من جانب التعظيم والغلو، وهم لا يشعرون، مثلما حدث لمن سبق من الأمم الغابرة.

وقد حذَّر أمير المؤمنين ﷺ من خطورة الغلو خاصة فيه،

---

(١) الوسائل: (٣/ ٤٦٢).

فقال: (يهلك فيّ اثنان: محب غالٍ، ومبغض غالٍ)[١]، وقال ﷺ أيضاً: (وسيهلك فيَّ صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط فالزموه)[٢].

ويتذكر أمير المؤمنين ﷺ وصية عظيمة، فقال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: (إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته يهود خيبر حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزلة التي ليسَ له، ألا فإنه يهلك فيَّ اثنان: محب مفرط يفرط بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله بغضي على أن يبهتني، ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم)[٣].

---

(١) بحار الأنوار: (٢٥/ ٢٨٥).

(٢) شرح نهج البلاغة: (٨/ ١١٢)، بحار الأنوار: (٢٣/ ٣٧٢).

(٣) بحار الأنوار: (٣٥/ ٣١٧)، العمدة: (٢١١).

بل اشتد وعيده وقوله على من غلا فيه ورفع من مكانته فيما ليس له، فقال: (اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً)[1].

وهذا ما فطن إليه سائر الأئمة رحمهم الله فنبهوا عليه، وتكاثرت عباراتهم حوله، فقال الصادق ﷺ: الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا[2].

وهذا التحذير الخطير من الأئمة رحمهم الله يقودنا إلى التفتيش عن أساس الغلو ومنشئه فيهم، وهو ما كفانا مؤنته أبو عبد الله ﷺ!

فعن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: لعن

---

(١) بحار الأنوار: (٢٥/ ٢٨٤)، أمالي الطوسي (ص:٦٥٠)، المناقب: (١/ ٢٦٣).

(٢) المصدر السابق

الله عبد الله بن سبأ إنه ادّعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم[١].

والأمر لم يكن خافياً عن انتباه الأئمة إلى حال بعض محبيهم من شيعتهم، وما سيؤدي إليه فرط حبهم فيهم، فتكلموا فيه وحذروا منه، فجاء عن ابن أبي نجران عن عبد الله قال: قال أبو عبد الله ﷺ : إنا أهل بيت صدّيقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس[٢].

ولأجل هذا كان دلالة صدق الموالاة هو بصدق الإتباع وحسن العمل بالشرع المبارك، وهذا ما ذكره أهل البيت لشيعتهم.

فعن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: قال لي: «يا جابر!

---

(١) بحار الأنوار: (٢٥/ ٢٨٦).

(٢) بحار الأنوار: (٢٥/ ٢٨٧).

أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله! ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله! ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة! فقال: يا جابر! لا تذهبن بك المذاهب؛ حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟! فلو قال: إني أحب رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي ﷺ، ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر! والله ما يتقرب إلى الله! تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من

حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[1].

ولنتذكر دائماً أن الأئمة من آل البيت يرجون رحمة الله ويخافون عقابه، وهم يدعون الله سبحانه دائماً وليس لهم من ميزة عن غيرهم، وهذا لسان حالهم ينطق بهذا: فيقول الإمام جعفر بن محمد الصادق رحمه الله : (فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ويلهم! ما لهم لعنهم الله؟! فقد آذوا الله وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات الله عليهم... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما معي براءة من

(١) الكافي: (٢/ ٧٤)، الوسائل : (١٥/ ٢٣٤)، أمالي الطوسي: (ص:٧٣٥)، بحار الأنوار: (٦٧/ ٩٧)، مجموعة ورام: (٢/ ٨٥).

الله، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً)[١].

وفي التحذير من البناء على القبور يقول الأئمة الأفذاذ: عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور، وكسر الصور[٢].

وقال الصادق ﷺ: كل ما جُعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقلٌ على الميت[٣].

هذا هو حال وحرص أهل البيت الكرام رحمهم الله على التوحيد من خلال فتاواهم، لا ما ينسب إليهم من الكذب المخالف للقرآن، وهديهم رحمهم الله ، فإن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وعن تجصيصه، وأمر بعبادة الله ﷻ مباشرة دون واسطة، وكذا الأئمة رحمهم الله نهوا عن ذلك وحذروا منه.

---

(١) رجال الكشي: (٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) الكافي: (٦/ ٥٢٨)، الوسائل : (٣/ ٢١١)، بحار الأنوار: (٧٦/ ٢٨٦)، المحاسن: (٢/ ٦١٤).

(٣) الوسائل : (٣/ ٢٠٢).

الأئمة يذكرون فضل التوحيد

تعال معي أخي الكريم لتقرأ أقوالاً من أئمة أهل البيت، يذكرون فضل التوحيد الذي عاشوه وحذّروا من كل ما يضاده:

- عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن الله عز وجل لا يعدله شيء، ولا يشركه في الأمر أحد[١].

- وعن الرضا عليه السلام عن آبائه رحمهم الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (التوحيد ثمن الجنة)[٢].

- وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما جزاء من أنعم الله عليه بالتوحيد إلا الجنة)[٣].

---

(١) بحار الأنوار: (٣/ ٣)، التوحيد (ص:١٩)، ثواب الأعمال (ص:٣).

(٢) بحار الأنوار: (٣/ ٣) وانظر: الأمالي للطوسي (ص:٥٦٩)، مجموعة ورام: (٢/ ٧٠).

(٣) بحار الأنوار: (٣/ ٥). وانظر: الاختصاص (ص:٢٢٥)، الأمالي للصدوق: (ص:٣٨٦)، الأمالي للطوسي: (ص:٤٢٩، ٥٦٩)، التوحيد: (ص:٢٢).

- وعن الرضا عن آبائه رحمهم الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (قال الله ﷻ: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، ومن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بإخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمِن من عذابي)[1].

فتأمل نفسك أيها القارئ الكريم!

أأنت مع من أنعم الله عليهم بالتوحيد الخالص فعظم الله تبارك وتعالى، وأفرده في عبادته وترك الشرك، أم أنت مع الذين تذللوا لغير الله واعتمدوا على سواه من بشر- وغيرهم وتعلقوا بهم ودعوهم واستغاثوا بهم من دون الله ﷻ؟!

وبحسب إجابتك تعرف موقعك.. ولكل من هؤلاء الفريقين حساب وجزاء.

(١) بحار الأنوار: (٣/ ٦). وانظر: التوحيد (ص:٢٤)، عيون الأخبار: (٢/ ١٣٤)، كشف الغمة: (٢/ ١٣٥).

إضاءة أخيرة

أخي الكريم:

إن الله هو الخالق الرازق المنعم المتفضل، ولا يختلف في هذا اثنان ولا ينتطح عليه عنزان.

فقد رزقنا وأعطانا.. ومن عدمٍ وطينٍ خلقنا وسوانا.. ووهب لنا من الخيرات وآوانا.. فربّانا بالنعم وأبعد عنا البلايا والنقم، واصبغ علينا خيراته ظاهرة وباطنة.. فما أكرمه من إله.. وما أرأفه من رب كريم رحيم ودود جواد.. يعطِي فيُعصَى.. ويُعصَى فيَستِر.. ويستِر فيغفِر.. الخير منه إلينا نازل والشر منا إليه صاعد.. يتودّد إلينا بالنعم، ويتمقّت الخلق إليه بالمعاصي والرِّمم.. يُعطِي فلا يحرم.. ويُكرِم فلا يَبخل.. ويجود فلا يُنقِص.. ويغفر الذنوب والخطايا ولا يبالي.

أبعد هذا كله تُصرف العبادة لغيره، ويُتوجه بالدعاء لسواه، ويُبتغى غير وجهه، ويستعان بغير قوته، ويُركن إلى غير ركنه الذي لا يرام، ويُعتمد على غير سلطانه الذي لا يضام؟

أليس من حقه علينا -وهو الغني عنا جل وعلا- أن نحقق كل معنى من معاني التوحيد في كل مناحي حياتنا، وأن نتمثل التوحيد قولاً وعملاً في كل نوع من أنواع عباداتنا وقرباتنا؟

أليس من حقه علينا ﷻ ألّا تسجد جباهنا إلا له، ولا تنحني رقابنا إلا لعظمته، ولا ندعو إلا إياه، ولا نرجو ولا نخاف إلا منه، ولا نتوسل ولا نتبتّل ولا نتوكل إلا عليه، ولا نستعين ولا نستجدي ولا نستغيث إلا إياه، ولا نرفع شكاوينا ونعرض حاجاتنا ونظهر افتقارنا إلا إليه، وإليه وحده فقط دون سواه؟؟

يا صاحب العقل السوي، والفكر البهي، والنفس المؤمنة بالله:

قلّي بالله عليك كيف يتوسل إنسان في كامل قواه العقلية إلى

رجل - وإن كان من أصلح الصالحين- مات منذ زمن بعيد، وهو الآن في قبره، مرتهن بعمله، بأمس الحاجة إلى رحمة الله ورضاه؟

بل كيف تُصرف أي عبادة من العبادات لغير الله جل في علاه؟

لعلك - أخي- قد أدركت معنى التوحيد وكنهه، وعرفت الحق والصواب، فسارع إلى الاقتداء بالرسول الأعظم، فهو القدوة العظيمة والأسوة الكريمة ﷺ.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

مقدمـة ٣
قصة التوحيد.. ..... ٦
الأئمة يقولون: نحن لله موحدون.. .....١٧
الأئمة يذكرون فضل التوحيد.....٢٦
إضاءة أخيرة ٢٨
فهرس المحتويات ٣١

❖ ❖ ❖